حكاياتٌ دعويّة
(٦)

وَلَكَ أَرْبَعَةُ أَكْيَاسٍ مِنَ الدَّنانير!!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

كيف أُعيدُ وديعتي؟!

اتفقَ الأصدقاءُ علىٰ أنْ يكونَ اللقاءُ القادمُ في حَديقةِ (نورس) ، وذلك مساءَ يومِ الجمعةِ القادم...

وذَكَّرَهُمْ (لؤي) بأن يُحَضّر كلُّ واحدٍ منهم حكايةً ، سواء كانتْ من التراثِ ، أم من الواقعِ...

ولما كانَ الموعدُ المحدَّدُ ، اجتمعَ الأصدقاءُ ، وتَحدَّثوا حولَ الأمورِ التي تَهمُّهم ، ثم تناوَلوا بعضَ الفواكِه و..

بعدَ ذلكَ قالَ (لؤي) : هل حَضَّرَ كلُّ واحدٍ منكم قصةً ـ كما اتفقْنا ـ؟

قالوا : نعمْ ، ونريدُ أن تكونَ البدايةُ مِنْ عندِكَ...

وراحَ (لؤي) يَروي حكايَتهُ التي حَضّرها :

... استودَعَ رجلٌ من الحجّاج رجلاً بالكوفةِ وَديعةً ، فحجَّ ثم رَجَعَ ، فطلبَ وديعتَه ، فأَنْكَرَ المسْتَوْدَعَ وجعل يَحْلِفُ له .

فانطلقَ الرجلُ إلىٰ الإمامِ أبي حنيفةَ يُشاوِرُه...

فقال الإمام : لا تُعْلمْ أحداً بجُحُودِه..

قال : وكان المستودَعُ يُجالسُ أبا حنيفةَ ، فخَلا به وقالَ له : إنّ هؤلاء قد بَعثوا يستشيروني في رجلٍ يَصلُحُ للقَضاءِ ، فهلْ لَديكَ رَغبةٌ في ذلك؟

فتمانَعَ الرجلُ قليلاً ، وأقبلَ أبو حنيفةَ يُرَغِّبه ، فانصرفَ علىٰ ذلك وهو طَمع .

ثم جاء صاحبُ الوديعةِ.. فقال له أبو حنيفةَ : اذْهَبْ إليه وقُلْ له :

أَحْسَبُكَ نَسِيتني ، لقدْ أَوْدَعْتُكَ في وقتِ كذا... والعلامَةُ كذا..

قال : فذهبَ الرجلُ فقال له ما قالَ له أبو حنيفةَ ، فدفع إليه الوَديعةَ...

فلما رجعَ المستودع ، قال أبو حنيفة : إني نظرتُ في أَمْرِكَ ، فأردْتُ أن أَرْفَعَ قدرَكَ ولا أسمّيكَ حتىٰ يَحْضُرَ ما هو أَجَلُّ مِنْ هذا!!!

* * *

من كرم عبيد الله بن أبي بكرة!!

قال (فاروقٍ) : وأنا سأقرأ عليكم قصةً من التراثِ ، فيها دلالةٌ واضحةٌ على خُلُقِ الكَرمِ :

قال شيخٌ من أهلِ الكوفةِ : في سنةٍ من السنواتِ ، أصابَنا جوعٌ شديدٌ ، واشتدَّ علينا الأمرُ كثيراً ، حتىٰ بِعْنا كلَّ ما نَملكُ...

وذاتَ ليلةٍ ، قلتُ للخادمةِ : ماذا بقي لدينا مِنْ طعامٍ أو شَرابٍ أو كِساءٍ؟!

فقالتْ : يا سَيِّدي! ما لنا دقيقٌ ولا غيرهُ ، ولا معنا ثمَنُه... فما العملُ؟

فقلتُ : أسْرِجي حِمارَي وجَهِّزي سَفَري...

فقالتْ : ما أكلَ الحمارُ شَعيراً منذُ ثَلاثٍ ، فكيفَ تَرْكَبُه؟

فقلتُ : أَسْرِجيهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، فأسرجَتْهُ ، فَرَكبْتُهُ ، وخرجْتُ متوكلاً علىٰ اللهِ سبحانه...

حتىٰ إذا شارَفْتُ علىٰ مدينةِ البَصرةِ ، إذا أنا بمَوْكِبٍ مُقْبِلٍ ، فلما انتهَوا إليّ ، ودخلْتُ في جُملتِهِم ، فرجَعَتِ الخيلُ تريدُ البصرةَ..

فسرتُ معهم حتىٰ دخلْناها ، وانتهىٰ صاحبُ الموكبِ إلىٰ مَنزلِه ، فَنَزَلَ ، ونزل الناسُ معه ، ونزلْتُ معهم...

ودخلْنا ، فإذا الدَّهْليزُ مَفْروشٌ ، والناسُ جُلوسٌ مع الرجل ، فرحَّبَ بنا... وأَمَرنا بالجلوسِ...

ثم دعا بغداءٍ ، فجاؤوا بأحسنِ غَداءٍ ، فتغدَّيْتُ مع الناسِ ، ثم تَوَضَّأنا ، ودعا بالطِّيْبِ والبخَورِ...

ثم قال : يا غِلمانُ! هاتوا وعاءَ الحُليِّ والجواهرِ ، فجاؤوا بسَفَطٍ ـ الوعاء ـ أبيضَ مَشْدودٍ ، ففتحَ فإذا فيه أكياسٌ ، في كلّ كيسٍ ألفُ دِرْهَمٍ ، فبدأ يُعطي مِنْ علىٰ يمينِه ، فأمَرَّها عليهم ، ثم انتهىٰ إليّ وأعطاني كيساً ، ثم ثنّىٰ وأعطاني آخر ، ثم ثلّث وأعطاني آخر...

وبقي في السَّفَطِ كيسٌ واحدٌ ، فأخذه بيده ، وقال : هاكَ يا هذا الذي لا أعرفُه!

فأخذتُ أربعةَ أكياسٍ ، وخَرَجْتُ..

فسألتُ عن هذا الكريمِ ، فقيل : عبيدُ الله بنُ أبي بَكْرة (ت : ٧٩هـ)...

* * *

الخروج من الأزمات!!

وجاء الدورُ علىٰ (معاذ) فقال : وأمّا أنا فقدْ نقلْتُ لكم هذه القصةَ الرائعةَ :

جرىٰ بين (هارون الرشيد) وبينَ ابنةِ عمهِ مناظرةٌ ومشادَّةٌ في بعضِ الأمورِ ، فغضبَ هارونُ وقال : أنتِ طالقٌ إنْ لم أكنْ من أهلِ الجنةِ!

ثم نَدِم ، واغتمّا جميعاً بهذا اليمين ، ونزلتْ بهما مصيبةٌ لموضعِ ابنةِ عمِّه منه...

فجَمعَ الفقهاءَ وسألَهُم عن هذا اليمينِ ، فلم يَجِدْ منها مَخْرَجاً ، ثم كتب إلىٰ عُمَّالِه في سائرِ البلدانِ أن يُحْمل إليه الفقهاءُ من بُلْدانهم .

فلما اجتمعوا جَلَسَ لهم وأُدْخِلوا عليه ، فسألَهُم

عن يَمينِه ، فأجابَه الفقهاءُ بأجوبةٍ مختلفةٍ ، وكان إذْ ذاكَ فيهم (الليثُ بن سعد) ، فيمن أَشْخَصَ من مِصْرَ ، وهو جالسٌ في آخرِ المجْلِسِ لم يتكلّمْ بشيءٍ ، وهارونُ يُراعي الفقهاء واحداً واحداً..

فقال له : بقي ذلك الشيخُ في آخِرِ المجْلِسِ لم يَتَكلّمْ بشيءٍ...

فقيل لليثِ : ما لكَ لا تتكلّمُ كما تَكلَّمَ أصحابُكَ؟

فقال الليث : أنا مستعدٌّ إذا أَذِنَ لي أميرُ المؤمنين ، فأشارَ (هارون) إليه أنْ تَكَلَّم...

فقال الليثُ : أُريدُ أن يخلّيَ أميرُ المؤمنين مَجْلِسَه إنْ أراد أَنْ يَسْمَع كلامي في ذلك.. وكان ذلك...

فقال اللّيْثُ : أَتكلّم علىٰ الأمانِ والهَيْبَةِ والطاعةِ لي؟!

فأعطاه الأمان...

فقال الليث : يدعو أميرُ المؤمنين بمصحفٍ جامِعٍ ، فأَمَرَ به فأُحْضِرَ...

فقال : يأخذُه أميرُ المؤمنينَ ، فيتصفّحُه حتى يَصِلَ إلىٰ سورة الرحمنِ..

... وراح هارون يقرأ من سورةِ الرحمن ، فلما بَلَغَ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[1] .

فقال الليث : يقول أميرُ المؤمنين : واللهِ..!

فاشتدَّ على الرشيدِ ذلك... ، فقال له هارونُ : ما هذا؟

قال : يا أمير المؤمنين علىٰ هذا وَقَعَ الشَّرْطُ..

فَنَكَّسَ هارونُ رأسَه ـ وكانتْ زوجتُه (زُبيدةُ) في بيتٍ يفصلُه عن المجلسِ غِطاءٌ ساتِرٌ وهي تَسْمَعُ الخِطابَ..

---

(١) سورة الرحمن : /٤٦/ .

ثم رفعَ هارونُ رأسَه ، وقال : واللهِ .

قال : الذي لا إلـه إلا هو الرحمن الرحيم ، إلىٰ أن بَلَغَ آخر اليمين ، ثم قال : إنَّك يا أميرَ المؤمنينَ تَخافُ اللهَ ومَقامَه؟

قال هارون : إني أخافُ اللهَ ومَقامَه .

فقال الليثُ : يا أمير المؤمنين! فهي جنّتان وليستْ بجنّةٍ واحدةٍ ، كما ذكر تعالىٰ في كتابهِ...

فسمعتُ ـ يقول الراوي ـ التكبيرَ وأصواتَ الفَرَحِ من خَلْفِ السِّتْرِ...

فقال هارون : أحسنتَ واللهِ ، بارَكَ اللهُ فيك...

ثم أَمَرَ بالجوائِز والخِلَعِ للّيْثِ...

ثم قال هارونُ : يا شيخُ! اخْتَرْ ما شِئْتَ ، وسَلْ ما شِئْتَ تُجَبْ فيه..

فقال الليثُ : يا أميرَ المؤمنين! وهذا الخادمُ الواقفُ علىٰ رأسِكَ...

فضحكَ هارونُ وقال : وهذا الخادِمُ .

فقالَ : يا أميرَ المؤمنين! والضّياعُ التي لك بمصرَ ولابنةِ عمِّكَ ، أكونُ عليها وتُسَلَّمُ إليّ لأنظُرَ في أمورِها...

فأمر هارونُ الرشيد بأن يُعطىٰ الكثير من الأموال ، وأن يُسَجَّلَ له ما وَعَدَه إياه.. وحُمِّلَ الجوائزَ والهدايا..

وأَمَرتْ (زبيدة) له بضِعْفِ ما أَمَرَ به الرشيدُ.. ، فَحُمِلَ إليه ، فاستأْذَنَ في الرجوعِ إلىٰ مِصْرَ ، فحُمِلَ مُكَرَّماً!!

* * *

... إنه العفو

وكان ختامُ الجلسةِ حكايةَ (أحمد) ، والتي جاءَ فيها :

قال أبو أُميّةَ الفرائِضيُّ : كنتُ في الوفْدِ الذي وَفَدَ علىٰ أبي جعفر المنصورِ ، من أهلِ البصرةِ ، فلما مَثَلْنا يبن يدَيه ، دعا برجلٍ ، فَكَلَّمَه ، ثم أَمَرَ بضَرْبِ عُنُقِه ، فَجُذِبَ ليُقتَلَ..!

فقلتُ في نفسي : يُقتل رجلٌ من المسلمين ، وأنا حاضرٌ فلا أَتَكَلَّمُ؟

فقمتُ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ! إنْ رأيتَ أنْ تَأمُرَ بالكَفِّ عن قَتْلِ هذا ، حتىٰ أُخبرَكَ بشيءٍ سمعتُ الحسنَ البصريَّ يقولُه؟!

فأمرَ الخليفةُ بالكفِّ عنه.. ، ثم نَظَرَ إليَّ وقال : هاتِ ما عندَكَ..

قلتُ : سمعتُ الحسنَ يقول : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا كانَ يومُ القيامة ، جَمَعَ اللهُ الأوّلينَ والآخِرِينَ ، في صَعيدٍ واحدٍ ، يَنْفُذُهُم البَصَرُ ، ويَسْمَعُهُم المنادي .

ثم يقومُ منادٍ من قِبَلِ الله تعالىٰ ، فيقول : أَلا مَنْ كانَ له علىٰ اللهِ حَقٌّ فَلْيَقُمْ ، فلا يقومُ إلا مَنْ عفا » .

فقال الخليفةُ أبو جعفر : اللهُ الشاهدُ عليكَ ، أنك سمعتَ الحسنَ يقولُ ذلك؟

قُلْتُ : نعم ، سمعتُه يقولُه...

فعفا عنه ، وأَطْلَقَ سَراحَه... ، فانصرفَ الرجلُ وهو يَحْمَدُ اللهَ علىٰ السَّلامَةِ..!

والحمد لله رب العالمين